كانت أمثلة ابن الجوزي ـ كعادته وعلى طريقة الجمع في كتب الوجوه ـ عدداً من الآيات التي ورد فيها اللفظ بمعنى، وعدداً آخر من الآيات التي ورد فيها اللفظ بمعنى مختلف.

فعناية كتب الوجوه كانت موجهة ـ كما نعرف ـ إلى معاني اللفظ الواحد، وبالتالي مواضع وروده في النص القرآني، والإشارة بلفظ مواضع الورود تدل على أن الاعتبار في رؤيتهم كان بالاستعمال، فالاستعمال القرآني محدد لدلالة الألفاظ القرآنية.

بينما كان النسيان عند ابن قتيبة واحداً من أمثلة عدة لظاهرة تركيبية مُعَينة، هي تكرار الفعل في سياق واحد، في حين يكون الفعل في تكراره الثاني جزاءً عدلاً للفعل الأوَّل، وفكرة الجزاء هذه، تتدخل في السياقات المختلفة لتغير شيئًا من دلالة الفعل الثاني، **كأن معنى الجزاء قد أضيف إلى النطاق الدلالي للفعل في تكراره الثاني، وهذه الإضافة أدت إلى تغير الدلالة** تغيراً كليا على ما يشي به تعبير ابن قتيبة «والمعنى مختلف».

فمعنى الفعل الثاني، قد اختلف أي أصبح معنى آخر، عندما تغيرت وظيفته الدلالية في الجملة.

ووظيفته الدلالية هي كونه جزاءً مترتبًا على الفعل الأوَّل. فهو بذلك فعلٌ ثانٍ. أي رد فعل لا فعل مبادرة.

وقد استنبطت وظيفة الفعل الدلالية (الجزاء) في هذه السياقات من عنصرين سياقيين:

أولهما: السياق الموضوعي الذي وردت فيه الآيات.

ثانيهما: فاعل الفعل المكرر، الذي هو موضع عناية ابن قتيبة. فقد كان فاعل الفعل الأوَّل في كل الآيات إنسان، بينما كان فاعل الفعل الثاني دائمًا هو الله، ما عدا الآيتين الأخيرتين من أمثلته فيختلف فيهما الأمر قليلاً، على ما سنرى.

ولنقرأ الأمثلة لنتبين هذه الملاحظات:

١ ـ قول الله تعالى: **﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنَّا وإذا خلوْا إلى شياطينهم قالوا إنَّا معكم إنما نحن مستهزئون. الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾**[1].

(١) البقرة: ١٤ - ١٥.